



يتميز الدين الإسلامي وشريعته وقيمته ومبادئه عن باقي الأديان السماوية والقيم الدينية بكونه دين حركي يتفاعل مع كل متطلبات الحياة حتى تتكامل مع حاجات الإنسان وضروراته لاستكمال مهمتي البناء والإستخلاف وفق صيغة ربانية يتحرك خلالها الإنسان في حركة بناء تتسم بالإيجابية والخيرية التي تشكل مجتمعاً صلباً تجاه أي انحراف أو انصراف عن مراد الله تعالى فتصل بذلك لمنزلة الشهداء الحضاري وتحقق وظيفة الإستخلاف في الأرض.

إذن فدين الإسلام دين حركة لا دين جمود كما أشاع الغرب عن مفهوم الدين والتدين، فهو دين يسعى للتمكن والتمكين (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلُفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ النَّاسَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَقْرَبُوا الزَّكَاةَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)، وهو دين ينهض بالسلوك البشري ويُصفي النّفوس ويرفع الهم وينشر العدل والحق والرحمة والخير والإحسان والجمال، وبهذا تنتقل الأمة من عالم الجمود لعالم الشهداء.

ويلاحظ كل مراقب أن أمتنا اليوم هي أمّة موجودة لكنّها ليست حاضرة وفق تعبير الشيخ الدكتور عصام البشير، فالشيخ يُفرق بين أن تكون موجوداً وبين أن تكون حاضراً، فالحاضر يعني الفاعلية والمبادرة والأخذ بزمام الأمور وأن لا تكون في منطقة الضغط المنخفض وفي الواقع الحضاري.

إنّ الأمة الإسلامية لن تستطيع أن تستأنف مشروع الإستخلاف والشهداء الحضاري سوى بالحركة التي تشهد به على نفسها أولاً بهذه القيم الحضارية. ومن أهم تلك القيم الحضارية والتي شابها الكثير من اللبس (الجهاد)، وأول ما يتبارد للذهن عند سماع هذه الكلمة -الجهاد- هو مناظر السيف والدماء والقتل والحروب، ولكن إن جلست تُحالة وتُفكّك على حقيقته وتعود لأصله الأصيل في الدين الإسلامي فإنك ستجد نفسك أمام مبدأ راقي من مبادئ الإسلام العظيم ومظهر مُشرق من مظاهر الحركة في الإسلام والذي بدوره يصوغ المسلم المعطاء والمُنتج والذي يجعل حياته في خدمة الآخرين.

إنّ بين مفهوم الحركة والتفاعلية في الإسلام وبين شهر الخيرية والعطاء شهر رمضان مُشتراكات كثيرة تجعل من هذا الشهر الفضيل من كل عام مدرسة الحركة والتفاعل ومنبراً مهماً لممارسة الإحسان والتضحية فيصير المسلم بعده قادرًا على حمل الامانة بقوة، وليس أدلة على هذا الإرتباط الوثيق من المعاني التالية:

1- الجهاد الداخلي: فالمسلم مأمور بمجابهة مظاهر الضعف والنقص ومراقبة نفسه على الدوام وتأمل حاله ومعاينة

تصرفاته، فهو في حركة للحراسة الداخلية الشخصية لا تتوقف، وهو ما أراد الله تعالى بيانه في ختام سورة العنكبوت: **(والذين جاهدوا فينا لتهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)**. ويأتي رمضان لإذكاء هذه الروح وبثها في نفوس الصائمين فتجد المسلم أقرب لهذا المعنى من أي شهر آخر، فتراه دائم التفكير والمراقبة، يُحيط نفسه بحبيل ربّاني لا ينفك عنه بحال، يتوب إلى الله تعالى مرات ومرات وذلك حتى يبقى كما أراد الله له أن يكون نموذجاً رسالياً فعالةً يدور مع الحق حيث دار، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا إن رحى الإسلام دائرة ، فدوروا مع الإسلام حيث دار ...)**.

2 - جهاد الدنيا والحياة: والمسلم يتحرك أيضاً في ميدان الإنتاج لتوفير سبل حياة كريمة وفق نظام عمل يسعى لرخاء المجتمع والأمة من خلال عمليات كثيرة، أهمها عملية التكافل الاجتماعي بحيث تكون الأمة كلّها جامعة لكل فرد من أفرادها في نطاق الأخوة والتضامن، فيأتي رمضان كي يُرسّخ هذه المعاني التكافلية لتوفير بيئه تتحرك وفق ما يستدعيه الواقع من تطورات، فترى الأمة تتسارع لكافلة يتيم وإفطار صائم ودعم مشروع تنميوي وإغاثة ملهوف وبذل المال في سبيل الله، فالمسلمون حينذاك في حركة خيرية لا تتوقف.

بل إنَّ مفهوم التكافل يتعدّى الناحية المادية ليكون تكافلاً إيمانياً يدعوا للبر وينهى عن المنكر ويتناصح مع عامة المسلمين. هذا التضافر والتكافل والتعاون في مسيرة واحدة يرسم خط الإسلام في تعبيد الناس لله الواحد. إن مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست مدرسة فكرية أو فلسفية فقط ولا هي مدرسة تعزل الناس في زاوية من الزوايا أو ركن من أركان المساجد، ولا هي نصوص جامدة أو قيم متجرّدة، بل هي مدرسة الحركة والتفاعل، تدرك ما يجري حولها، وتعيش هموم الناس وتعمل ليل نهار للتغيير والإصلاح. أو لم يغضب سول الله - صلى الله عليه وسلم - حين جيء ب الرجل أتى جبلاً يتبعده فيه ، وقال له : **(لا تفعل أنت ولا أحد منكم ، لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاماً)** ؟

3 - الجهاد العسكري: وهو ثابت بالضرورة الإنسانية والشرعية، فالإسلام دين القوة كما هو دين الرحمة، ودين الحركة والعنوان كما هو دين الأخلاق وكرامة الإنسان، يرفض رفضاً تاماً أن يستسلم المسلم لغير الله تعالى، فيقف في وجه الظلم والفساد والطغيان والإنحرافات. فكل ما يُعرض حرية الإنسان وكرامته للإنحطاط يُقاوم بالجهاد الحق، بالنفس والمال والكلمة وال فكرة، وذلك من خلال مجموعة مؤمنة تُضيّق بملذات الدنيا من أجل ثواب الدنيا والآخرة معاً، ولا يكون ذلك إلا من خلال التنظيم، فكم من طاقات تهدر وتضيع في غياب التنظيم والترتيب والإعداد، وهذا التنظيم يحتاج إلى قيادة ومنهج وجندية، وذلك كله بحاجة لحركة دؤوبة ورص لصفوف وإيمان وثيق كالجبال، يقول الله تعالى: **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)** فهم في حركة وإيمان وفق منهج (في سبيله).

ثم يأتي رمضان - شهر الجهاد - مرة في كل عام ليؤكد لنا هذه القيمة الإسلامية الرصينة، وينذّرنا بأعظم معركتين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم: بدر وفتح مكة، وكذلك الحال عند سلف الأمة الذين فتحوا البلاد وأزالوا الظلمات وتحرّروا من لهيب الطغيان والإستبداد، فيجمع الناس في رمضان بين الإنعتاق من الشهوات الدنيوية والإنتقام من الظلم والظالمين. إن صيام المسلم وامتناعه عن المباحات في نهار رمضان ومراقبته لنفسه على الدوام ومحاولة اتصاله بالله من غير انقطاع يزرع في العقلية المسلمة مفهوم الجهاد والمجاهدة ويساهم في صياغة الروح التي تتحرك وفق مبتكى الشريعة.

وعندما يعيش المسلم الصائم مع إخوانه ساعات السحر وصلوات القيام وأوقات الإفطار يشعر حينها بالتبعية لهذه الأمة وجنديته في الجماعة الكبرى وانتظامه في صف الزمرة المؤمنة، فيتحرك معهم كأنهم موجٌ هائل يقذف بالحق على الباطل فيديمه فإذا هو زاهق.

رمضان مدرسة الحركة والحركيين بدون منازع، والجهاد في سبيل الله منهاج هذه المدرسة الذي يضمن الحياة الكريمة

السعيدة القوية، يقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا إستجيبوا لله ورسوله إذا دعاكم لما يحببكم)، وما أحوج الأمة اليوم لهذا الإحياء الذي سيُجدد في نفوس المسلمين روح العزة والكرامة، إنَّ هذا الأحياء عليه أنْ يوازن بين النظرية والحركة، والإنتقال من المفهوم وال فكرة إلى التفعيل والحركة، يقول الاستاذ سيد قطب: "لا يصح نمو حركي اكبر من النظري ولا نظري اكبر من الحركي ولابد للمسارين من التلازم"، وإنني على ثقة كبيرة بأنَّ شهر التمحص والتغيير لمن أخلص فيه التوجه إلى الله لأكبر معين على إدراك مفهوم الحركية في الإسلام.

المصادر: